

القدس وسيناء في القرآن

أى معانٍ وأى خواطر وأى مشاعر ، تنور في قلب الإنسان حينما يلفظ
أو يسمع كلمة « القدس » .

إنها الكلمة التي لو جردناها من كل ذكرياتها ، وتاريخها وسيرتها ، لبقى
لها هذا التذكير بالقداسة والطهارة والكرامة ، ف لغة العرب - وهي لغة القرآن
المجيد تقول : قدس المؤمن ربّه . أى نزّهه عما لا يليق بألوهيته ، والقرآن
يقول على لسان الملائكة في خطاب ربهم تبارك وتعالى : « وَنَحْنُ سُبِّحُ بِحَمْدِكَ
وَنُقَدِّسُ لَكَ » (سورة البقرة الآية ٣٠) .

والقدوس : هو المطهر المتزه عن جميع القائص . والقدس : الطهر .
والمكان المقدس : المطهر من أدران الوثنية ونحوها . والأرض المقدسة :
هى فلسطين ردها الله على العرب والمسلمين أو الطور وما حوله ، أو
الشام كلها . وروح القدس : هو جبريل عليه السلام ، والقرآن يقول :
« وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ » (البقرة الآية ٨٧)
ويقول : « قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ، لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى
وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ » (النحل الآية ١٠٢) .

والقدس - أو بيت المقدس - هي عاصمة فلسطين . وبلد المسجد الأقصى ، والقبة الأولى للمسلمين التي أشار إليها الله تبارك وتعالى في قوله : « وما جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقَبَيْهِ ، وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ، وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ إِيْمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ » (البقرة الآية ١٤٣) . والمسجد الأقصى هو ثالث المساجد التي تشد إليها الرحال بنية العبادة ، فرسول الله عليه الصلاة والسلام يقول : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي ببلدينة ، والمسجد الأقصى » .

وقد سمي مسجد القدس بالمسجد الأقصى ، لأنه كان أبعد المساجد التي تزار ويبتغى بها الأجر بالنسبة إلى المسجد الحرام ، أو لأنه لم يكن وراءه موضع عبادة ، أو لبعده عن الأقطار والخبائث : وقد روى أنه بنى في أصله بعد بناء المسجد الحرام بأربعين سنة .

ولقد تكاثرت الفضائل من حول القدس - بيت المقدس - وحسبها أولاً أن مسجدها كان واسطة العقد في معجزة الإسراء والمعراج ، فكان خاتمة لرحلة الإسراء في الأرض ، وكان فاتحة لرحلة المعراج إلى السماء ، ثم كان خاتمة لرحلة العودة من المعراج ، وفاتحة لرحلة العودة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام . وقد نوه القرآن المجيد بذلك . وجعل هذا انتويه فاتحة لسورة سمّاها باسم المعجزة ، وهي « سورة الإسراء » ، فقال في طليعتها : « سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ » .

والآية الكريمة تشير إلى البركة التي جعلها الله من حول هذا المسجد ، وهذه البركة تتمثل في مجارى الأنهار وفي فيض الثمار ، وبمن دُفن من حوله

خلال عصور التاريخ من الصفوة الأخيار الأبرار . وهناك آية كريمة تشير إلى هذه البركات ، وهي قوله عز من قائل : « وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا » (البقرة الآية ٥٨) .

ومن فضائل هذا المسجد أن الصلاة تصاعف فيه مائتين وخمسين مرة ، على أقل الروايات عدداً في هذه المضاعفة . وأنه يستحب ختم القرآن المجيد به ، ومن الفضائل استحباب المجاورة به للعبادة أو الذكر أو الاعتكاف أو طلب العلم ، ومنها أنه يستحب الصيام فيه ، ومنها أن مَنْ لم يقدر على رايته . يستحب له أن يهدي إليه ريت للسراج ، أو ما يقوم مقام الريت لإضاءته . ومن الفضائل أن السيئات تصاعف فيه ، أى تزداد قبحاً وفحشاً ، لأن المعاصي التي ترتكب في زمان شريف أو مكان شريف تكون أشد جرأة على الله جل جلاله ، ومنها أنه يسغى للحالف أن يحذر اليمين الفاجرة فيه ، لأن عاقبتها وخيمة ، ومنها أنه يستحب الإحرام بالحج والعمرة منه .

• • •

هذا ، ولقد شاء الله تبارك وتعالى - بمقتضى وعده في القرآن الكريم أن الأرض لله يرثها عواده الصالحون - أن تفتح القدس أبوابها أمام نور الإسلام في السنة السادسة عشرة من الهجرة ، حيث افتتحها الصحابي الجليل ، القائد البطل ، أمين الأمة أبو عبيدة عامر بن الجراح ، وطلب أهلها أن يصالحهم على صلح مدن الشام . وأن يكون المتولى للعقد هو خليفة المسلمين ، أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، فاستجاب الخليفة لذلك ، وارتحل إليهم من المدينة ، ولما دنا من القدس قال : لبيك اللهم لبيك ، بما هو أحب إليك . ثم اتجه الخليفة في مسيرته إلى محراب داود ليلا ، وصلى فيه . ولما طلع الفجر أمر بالأذان والإقامة ، ثم تقدم فصلى بالناس ، وقرأ جانباً من سورة

« ص » في الركعة الأولى ، وقرأ في الركعة الثانية أول سورة الإسراء .

ثم شرع في تطهير الساحة الطيبة من الكناساة والأقذار التي وضعها الروم في المكان ، وشاركه الناس في هذا التطهير .
وكتب الخليفة لأهل القدس كتاب أمان يعد مثلاً في العدل والسباحة واللين مع الناس . جاء فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء (القدس) من الأمان ؛ أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ، ولكنائسهم وصلبانهم ، وسقيمتها وبريئتها وسائر ملتها : أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ، ولا ينتقص منها ولا من حيزها ، ولا من صليبهم ، ولا من شيء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم ، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود .

وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن ، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص (اللصوص) فمن خرج منها فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن أقام منهم فهو آمن ، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية . ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ، ويحلى بيعهم وصلبهم ، فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم ، حتى يبلغوا مأمنهم .

ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان ، فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع إلى أهله ، فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يُحصد حصادهم .

وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله ، وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين ، إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية . شهد على ذلك خالد بن الوليد ، وعمر

ابن العاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وكتب وحضر
سنة خمس عشرة .

• • •

هكذا كانت القدس - وما زالت - صاحبة مكانة ومترلة في تاريخ
الإسلام منذ القدم ، وفي نفوس المسلمين في الأمتس البعيد ، والحاضر القائم ،
وإلى ما شاء الله . ولكن اليهود يفترون ويرعمون فيما يشرون أن عداية المسلمين
بالقدس (وهى بيت المقدس) لم تظهر إلا أخيراً ، بعد التنافس والصراع بين
المسلمين واليهود فى فلسطين - ردها الله على العرب والمسلمين - وهذا تزوير
للتاريخ ، فالمسلمون يعنون بالقدس وفلسطين كلها منذ بزغت شمس الإسلام .
والقدس عند المسلمين - منذ أربعة عشر قرناً - فيها أولى القبلتين ،
وثالث الحرمين ، ولقد ظل رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، والمسلمون
من ورائه . يتجهون فى صلواتهم إلى المسجد الأقصى فى بيت المقدس (وهو
القدس) سبعة عشر شهراً تقريباً . وصارت للقدس مكانة جليلة فى نظر
المسلمين ، لأن فيها المسجد الأقصى ، وهو أحد مسجدين اثنين اقتصر القرآن
المجيد على التصريح باسمهما ، وهما المسجد الحرام وفيه الكعبة ، والمسجد
الأقصى ، وإليه كان إسرائ الرسول ، ومنه كان معراجة ، صلوات الله
وسلامه عليه .

وألقى الإسلام رداء الهيبة والكرامة على القدس ، فجاء فى كتب السنة :
« من مات فى بيت المقدس فكأما مات فى السماء » ويقصد بهذا - طبعاً -
من مات على الإسلام طائعاً لله ورسوله . وكذلك جاء : « من أهل بحجة أو
عمرة من المسجد الأقصى غفر له ما تقدم من ذنبه » . وهذا - طبعاً - عند
ترافر التوبة النصوح مع الإخلاص .

كما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال : « صليت ليلة أسرى
 في إلى بيت المقدس عن يمين الصخرة » . وقصة الإسراء تقص علينا أن رسول
 الله محمداً قد صلى إماماً بالأنبياء والمرسلين في المسجد الأقصى ليلة الإسراء .
 ومن مظاهر عناية المسلمين عنايةً قديمةً موصولة بالقدس وبالمسجد
 الأقصى وبفلسطين كلها ، هذه الكتب والمؤلفات الضخمة التي ألفها علماء
 الإسلام ومؤرخوه منذ قرون في فضائل القدس والمسجد الأقصى ، ومنها :

- ١ فضائل القدس : لابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ - ١٢٠٠ م .
- ٢ الأسس في فضائل القدس : لابن هبة الله الشافعي ، من رجال القرن
 السابع الهجري .
- ٣ مثير العرام بفضائل القدس والشام : لابن سرور المقدسي المتوفى
 سنة ٧٦٥ هـ - ١٣٦٣ م .
- ٤ - الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل : لمجير الدين الحبلي القاضي
 المتوفى سنة ٩٢٧ هـ - ١٥٢٠ م .
- ٥ - الجامع المستقصى في فضائل المسجد الأقصى : لابن عساكر المتوفى
 سنة ٩٤٨ هـ - ١٥٤١ م .
- ٦ - فضائل القدس : للشریف عز الدين حمزة المتوفى سنة ٨٧٤ هـ -
 ١٤٦٩ م .
- ٧ - باعث النفوس إلى زيارة القدس المحروس ، لابن قاضي الصلت
 المتوفى سنة ٧٢٩ هـ - ١٣٢٨ م .

• • •

هذا شيء من الحديث عن مكانة القدس في نظر القرآن والإسلام .
 ثم يأتي حديث عن سيناء ..

كلمة « سيناء » - بكسر السين وقد تفتح - وقد تضاف إليها كلمة « الطور ». فيقال : طور سيناء ، كما جاء في قول القرآن : « وَشَجَرَةً تُخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصِنَعٌ لِلْآكِلِينَ » (سورة المؤمنون الآية ٢٠) وقد يقال لهذا المكان « سينين » ، كما جاء في قول القرآن : « وَالتَّيْنِ وَالزَّيْتُونِ ، وَطُورِ سَيْنِينَ » (سورة التين ١ ، ٢) وسيناء هي صحراء سيناء الواقعة في جنوب فلسطين . وفيها الوادي المقدس الذي قال عنه القرآن في سورة طه مخاطباً موسى : « إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى » (سورة طه الآية ١٢) . وهكذا أمره الله أن يخلع نعليه تعظيماً للبقعة ، لأنها الوادي المقدس المسمى « طوى » . وفي سورة النازعات يقول : « إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى » (الآية ١٦) .

وفي سيناء يوجد الوادي الأيمن والبقعة المباركة ، فذلك حيث يقول القرآن الكريم في سورة القصص : « فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا ، قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ . فَلَمَّا آتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ ، أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ » (الآيتان ٢٩ ، ٣٠) .

وفي سيناء يوجد « الطور » وهو الجبل الموجود فيها ، وقد تكرر ذكر هذا الطور في آيات من القرآن المجيد ، ومن ذلك قول الله تعالى في سورة مريم : « وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا » (الآية ٥٢) . وتشير هذه الآية إلى أن موسى عليه السلام شاهد - وهو في طريق عودته بزوجته إلى وطنه - شاهد نارا من الجانب الأيمن لجبل الطور في سيناء ، وهناك ناداه الله جل جلاله ، وقربه من حماه وناجاه . وروى أن الله تعالى أوحى إليه :

« يا موسى ، إذا خلقت لك قلباً شاكراً ، ولساناً ذاكراً ، وزوجة تعين على الخير ، فلم أخزن عنك من الخير شيئاً ، ومن أخزن عنه هذا فلم أفتح له من الخير شيئاً » .

ويقول القرآن أيضاً في سورة البقرة : « وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ » . (الآيتان ٦٣ ، ٦٤) .

والميثاق هنا هو - كما قال أهل التفسير - العهد الفطرى الذى يجعل العقول بعد الرشد قابلةً لإدراك السنن الإلهية فى الخلق ، وهو العهد الموثق بالعهد الدينى ، وهو ما أيد الله به الأنبياء من الآيات البيّنات ، والأحكام المحكمات ، فمن أنكر بعثة الأنبياء ، ولم يهتد بهديهم ، فهو ناقض لعهد الله ، فاسيق عن سنته ، وهذا ما ارتكبه اليهود .

وقد أراهم الله جل جلاله آية تقوى الإيمان عند العقلاء ، وهى نتقى الجبل - جبل الطور - ونزعه ليحرك فيهم الشعور ، حتى يتمسكوا بأوامر الله بقوة ، ويحافظوا على العمل بها ، لأن العمل سند العلم ، ولذلك قال الإمام على رضى الله عنه : « يهتف العلم بالعمل ، فإن أجابه وإلا ارتحل » .

ويشير القرآن بذلك إلى أن الله سبحانه قد أخذ على بنى إسرائيل الموائيق والعهود للإيمان به وحده لا شريك له ، واتباع رسله ، ورفع فوقهم الطور إرهاباً وتهديداً . لكى يقرؤا بما عاهدوا عليه ، وينفذوا أوامره بامثال واجتهاد ، وكأنه هددهم بإسقاط الجبل فوقهم إن ظلوا على بهتانهم .

وعلى الرغم من هذا الميثاق المؤكد العظيم تبلى هؤلاء وأعرضوا ، وخانوا ونقضوا ، ولولا أن الله حل جلاله صاحب فضل ورحمة ، فأرسل إليهم الرسل ،

وقبل من نائبهم توبتهم ، لكانوا ممن خسروا الدنيا والآخرة معاً .

ويعود القرآن إلى تسجيل العصيان والكفران من هؤلاء عند رفع الطور ، فيقول في سورة البقرة : « وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ ، وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ ، خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمِعُوا . قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا . وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ . قُلْ بَشِّرْهُمْ بِأَمْرِهِمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » (الآية ٩٣) .

ويعود القرآن مرة أخرى ، فيقول في سورة النساء : « وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ مِيثَاقَهُمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُحَدًا . وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ . وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا » (الآية ١٥٤) . فيؤكد القرآن هذا جرائم هؤلاء بتكرار حديثه عن رفع الطور في سياء فوقهم تهديداً ووعيداً ، حتى جعلوا يسطرون إليه ، - اثنين أن يقع عليهم . وأن يسقط فوقهم فيسحقهم ، ومع ذلك عادوا فعدوا وحاثوا ، وأمرهم الله أن يدخلوا بيت المقدس ساحدين خاضعين قائلين : اللهم حظ عنا ذنوبنا ، ولكنهم عاندوا ودخلوا راحقين على أستاذهم ، مجاهرين بالتحريف قائلين غير ذلك ، وأمرهم الله ألا يعملوا في يوم السبت ، وأخذ عليهم بذلك ميثاقاً غليظاً شديداً ، ولكنهم خالفوا وعملوا يوم السبت .

ويقول الكتاب العزيز في سورة طه : « يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوى ، كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلُلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى » (لايتد ٨٠ ، ٨١) ولكنهم مع الأسف قد طغوا فحل عليهم غضب الحمار ، وحق لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول : « نحن أولى بموسى منهم » .

وقد أشار القرآن في سورة المؤمنون إلى بعض خيرات سياء حين قال : وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سِيَاءٍ تَبْتَثُ بِالْدُّهْنِ وَصِغُ لِلْأَكِلِينَ » (الآية ٢٠) .

يشير إلى شجرة الزيتون المباركة الكثيرة المنافع والفوائد ، وهي تنبت وفيها الدهس . أى الزيت الذى يعصر . وهو المفيد للآكلين . وقد أضاف شجرة الزيتون إلى ميثاء لأنها ظهرت فيها . وتشعت منها فى البلاد وانتشرت . وكثرت فى هذا المكان ، وقد أشار الكتاب العزيز مرة أخرى إلى هذه الشجرة فى قوله تعالى : « الله نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ، الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ، الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ ، لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ، يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ، نُورٌ عَلَى نُورٍ ، يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ، وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » (النور الآية ٣٥) . وهنا وصف القرآن هذه الشجرة فى ميثاء بأنها شجرة مباركة ، وصرح بأنها شجرة الزيتون ، وقد قيل إنها أول شجرة نبت بعد الطوفان .

وعاد القرآن الكريم فى سورة « التين » ، فذكر « طور سينين » ، وهو جبل طور سيناء ، وجعله أحد أنبياء أربعة أقسم بها الحق جل جلاله . تنوياً بشأنها وتذكيراً بمكانتها ، فقال فى مفتتح السورة : « وَالتِّينِ ، وَالزَّيْتُونِ ، وَطُورِ سِينِينَ ، وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ، لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ » . وقد ذكر الأستاذ الإمام محمد عبده فى « تفسير جزء عم » الأقوال الواردة فى معنى « التين والزيتون » ، ومن بينها أنهما الشجرتان المعروفتان باسم التين والزيتون ، لكثرة فوائدهما ، ثم قال : « ولكن تبقى المناسبة بينهما وبين طور سينين » والبلد الأمين ، وحكمة جمعهما معاً فى نسق واحد غير مفهومة ، ولهذا رجح أنهما موضعان .

وقد يرجح أنهما النوعان من الشجر ، ولكن لا لفوائدهما كما ذكروا ، بل لما يذكran به من الحوادث العظيمة التى لها الآثار الباقية فى أحوال البشر .

قال صاحب هذا القول : إن الله تعالى أراد أن يذكرنا بأربعة فصول من كتاب الإنسان الطويل ، من أول نشأته إلى يوم بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ، فالتين إشارة إلى عهد الإنسان الأول ، فإنه كان يستظل في تلك الجنة التي كان فيها بورك التين ، وعندما بدت له ولزوجته موآتهما طفقاً يخاصمان عليهما من ورق التين .

والزيتون إشارة إلى عهد نوح عليه السلام وذريته ، وذلك لأنه بعد أن فسد البشر ، وأهلك الله من أهلك منه بالطوفان ، ونجَّى نوحاً في سفينته ، واستقرت السفينة نظر نوح إلى ما حوله ، فرأى المياه لا تزال تغطي وجه الأرض ، فأرسل بعض الطيور لعله يأتي إليه بخبر انكشاف الماء عن بعض الأرض ، فغاب ولم يأت بخبر . فأرسل طيراً آخر . فرجع إليه يحمل ورقة من شجر الزيتون ، فاستبشر وسر ، وعرف أن غضب الله قد سكن ، وقد أذن للأرض أن تعمر .

ثم كان منه ومن أولاده تجديد القبائل البشرية العظيمة في الأرض التي محى عمرانها بالطوفان ، فعبّر عن ذلك الزمن بزمن الزيتون . والقسم هنا بالزيتون للتذكير بتلك الحادثة ، وهي من أكبر ما يذكر به من الحوادث . وطور سين إشارة إلى عهد الشريعة الموسوية ، وظهور نور التوحيد في العالم ، بعد ما تدهست جوانب الأرض بالوثنية ، وقد استمر الأنبياء بعد موسى يدعون قومهم إلى التمسك بتلك الشريعة ، إلى أن كان آخرهم عيسى صلى الله عليه وسلم ، جاء مخلصاً لروحها مما عرض عليه من البدع .

ثم طال الأمد على قومه ، فأصابهم ما أصاب من قبلهم ، من الاختلاف في الدين ، وحجب نوره بالبدع ، وإخفاء معناه بالتأويل ، وإحداث ما ليس منه بسبيل ، فمنَّ الله على البشر ببداية تاريخ ينسخ جميع تلك التواريخ ،

وفصل بين ما سبق من أطوار الإنسانية وبين ما يلحق ، وهو عهد ظهور النور المحمدى من مكة المكرمة ، وإليه أشار بذكر البلد الأمين .

• • •

أيها العربى حيثما كنت ...

أيها المسلم حيثما أقمت ...

تذكر ولا تنس .. تذكر أنها « القدس » القبلة الأولى والحرم الثالث فى تراث الإسلام وتاريخ المسلمين ، وأنها مسرى نبيك ورسولك عليه الصلاة والسلام ... تذكر أن موارث النبوات والرسالات قد انتهت إلى يد محمد عليه الصلاة والسلام ، لتكون أمانة عزيزة غالية فى أيدي أتباعه إلى ما شاء الله ، يجعلونها حرماً آمناً قائماً بالحق والعدل .

تذكر ولا تنس ... تذكر أنها « سيناء » التى تشهد كل حبة من رمالها أن العروبة المؤمنة لن تنام عن حقها فى التحرير والتعمير ، مهما طال المدى فى تقدير الإنسان ... إثم يرونه بعيداً ، ونراه قريباً ، وما ذلك على الله بعزيز .